قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

أسباب عذاب القبر

obeikandl.com

obeikandl.com

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

الحمد لله رب العالمين: الذي شمل إحسانه كل حي، فكيف إنعامه؟ إنعامه ملء الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شيء، فكيف جنته؟ جنته عرضها السماوات والأرض، فكيف عرشه؟ عرشه فوق السبع الطباق، فكيف وجهه؟ وجهه ذو الجلال والإكرام، فكيف هو؟ قال ﷻ :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤،٨٥].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن الحرب على كل من تسول له نفسه أن يستطيل في عرض أخيه المسلم أو أخته المسلمة، فقال ﷻ : {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٣ - ٢٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : توعد الذين يقذفون الناس في أعراضهم بالعذاب الأليم، فروى أبو داود والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«... وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»، فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن اللسان من أعظم النعم التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان، وهو نعمة تستحق أن نشكر الله ﷻ عليها، وهو دليل على قدرة الله ﷻ، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}** [الروم: ٢٢].

وقال ﷻ: **{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ}** [البلد: ٨، ٩].

فالله ﷻ خلق اللسان ليذكره به الإنسان، ويستخدمَه في طاعته ﷻ، ويتبادلَ به الرأي مع بني جنسه، ويعبرَ به عما يدور في فؤاده.

فاللسان هو المترجم لما حواه الجنان، يُزْرَعُ بقوله الحسناتُ والسيئاتُ، وهو أطيب عضو مع القلب إذا طابا، وأخبث عضو مع القلب إذا فسدا.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: " أنه قيل للقمان الحكيم: اذبح شاة، وأحضر أطيب ما فيها "، فذبحها، وأحضر القلب واللسان، ومرت أيام وقيل له: " اذبح شاة، وأحضر أخبث ما فيها "، فذبحها، وأحضر القلب واللسان.

فقيل له: طلبنا منك أطيب عضوين فأحضرت القلب واللسان،

وطلبنا منك أخبث عضوين، فجئت بالقلب واللسان، فقال: هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا.

ولذلك قال فاروق الأمة ﷺ : " المرء بأصغريه: قلبه ولسانه " لم يقل بماله، ولا بسلطانه، ولا بحسبه ونسبه، وإنما بقلبه وبلسانه.

فالواجب على كل إنسان أن يستخدم لسانه فيما أحل الله ﷻ، وأن ينزهه عما حرم الله ﷻ، ولا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار؛ لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت**».

الحقيقة الثانية: إن استقامة الأعضاء متوقفةٌ على استقامة اللسان، وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول ﷺ قال:«**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**».

وروى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه**».

ولقد بين لنا الرسول ﷺ أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر ﷺ قال للرسول ﷺ : ما النجاة؟، فقال الرسول ﷺ :«**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**».

بل إن الرسول ﷺ بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول ﷺ قال:«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وكل ذلك لخطر الكلمة التي تخرج من اللسان، فبكلمة واحدة يدخل الفرد دين الله ﷻ، وبكلمة واحدة يخرج الفرد من دين الله ﷻ، وبكلمة واحدة ينال الفرد رضا الله ﷻ، وبكلمة واحدة ينال الفرد سخط الله ﷻ، وبكلمة واحدة تحل امرأة، وبكلمة واحدة تحرم المرأة، وبكلمة واحدة يسعد حزين، أو يحزن سعيد، وبكلمة واحدة ترمى امرأة شريفة عفيفة، بكلمة واحدة يمزق الشمل، ويتفرق الأحبة، فكل كلمة تخرج من الإنسان هو مؤاخذ بها، قال ﷻ :{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

وروى الترمذي أن معاذ بن جبل ﷺ قال للرسول ﷺ : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟، فقال الرسول ﷺ :«ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُ الناسَ في النار على وجوههم، إلا حصائدُ ألسنتهم»، وفي رواية:«على مناخرهم».

وروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً».

الحقيقة الثالثة: إن الدين الإسلامي جاء للحفاظ على الكليات الخمس: الدين، النفس، العقل، العرض، المال.

أما الدين: فهو أولى وأهم ما جاء الإسلام بحفظه وصيانته، فشرع الحدود، وأوجب الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ من أجل الحفاظ على الدين وصيانته.

أما النفس: فقد حرم الإسلام قتلها بغير حق، وجعل ذلك من الكبائر، فقال ﷻ :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣].

وروى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر، فقال:«الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين».

ثم أوجب القصاص للمحافظة على النفس، فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

أما العقل: فقد صانه وحفظه من كل ما يفقده أو يزيله، فحرم الخمر وكل مسكر، فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} [المائدة: ٩٠، ٩١].

ثم أوجب الحد على شارب الخمر؛ حفاظاً على العقل، فروى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو الأربعين.

أما النسب: فقد حرم الزنا، فقال ﷻ :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: ٣٢].

وأوجب فيه الحد الرادع، فقال ﷻ :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

أما العِرْض: فقد حافظ عليه وصانه من كل ما يشوه صورته، ويخدش كرامته وعفته وعدالته، فنهى المسلم عن أن يتكلم في عرض أخيه بما يؤذيه، فقال ﷻ :{وَلاَ تلمزوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالألقَابِ بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الإيمان وَمَن لَّمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظالمون} [الحجرات: ١١].

وأوجب في الكلام عن العرض حد القذف، وهو ثمانون جلدة، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* إِلَّا الَّذِينَ

تَابُوا} [النور: ٤، ٥].

أما المال: فقد حافظ عليه فمنع أخذه بغير حق شرعي، فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأوجب على السارق حد السرقة، وهو قطع اليد؛ فقال ﷻ : {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨].

وكل ذلك محافظة على المال، ودرءً للمفسدة عنه.

الحقيقة الرابعة: ما هو القذف؟ القذف هو: الرمي والسَّب، ومعناه هنا: رمي المرأة بالزنا، أو ما كان في معناه، والمحصنات: جمع محصنة وهي المرأة المتزوجة، والْمُحْصَنَةُ، والْحَصِنَةُ كذلك: هي المرأة العفيفة البعيدة عن الريبة والشك.

والغافلات: من الغفلة، وهي الترك والسهو، والغافلات: هن البريئات الطوايا، المطمئنات النفس؛ لأنهن لم يفعلن شيئا يحذرونه، ويخفن منه.

الحقيقة الخامسة: ما الأسباب التي تدعو الشخص لأن يخوض في عرض غيره؟

أولاً: الإيذاء: فعندما يريد الإنسان أن يؤذي غيره، يسبه في عرضه، ويلطخ سمعته، وذلك مثل ما حدث من رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، حينما أراد أن يؤذي الرسول ﷺ في عرضه، فرمى السيدة الطاهرة عائشة ﵂ واتهمها في شرفها.

ولقد رتب الله ﷻ العقاب الشديد على من يتفنن في أذية خلق الله ﷻ، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

ثانياً: أن يقصد الإنسان بالقذف التشفي من غيره: فيدعي عليه قبائح يخترعها عليه، وأوصافاً ينسبها إليه.

ثالثاً: الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم: فيكون من عادتهم السب والقذف، ولقد حذرنا الله ﷻ من مصاحبة رفاق السوء، فقال ﷻ :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وروى أحمد والطبراني أن أعرابياً قال للرسول ﷺ : أوصني، فقال ﷺ :«عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيَّرك بشيء يعلمه فيك، فلا تعيره بشيء فيه، يكن وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبن شيئاً»، قال الأعرابي: فما سببت شيئاً بعده.

رابعاً: إشاعة الفاحشة في المجتمع: فالقاذف يريد أن تشيع الفاحشة في المجتمع الذي يعيش فيه، ولقد رتب الله ﷻ العقاب الشديد على ذلك، فقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النور: ٢٠].

أخوة الإسلام:

لقد قام الشرع الحنيف بشن حملة مرعبة على هذه الجريمة ومرتكبها، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من جريمة القذف ومرتكبها.

أولاً: كتب الله ﷻ اللعن على مرتكب هذه الجريمة: فقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ٢٣].

وهو في هذه الحالة يتساوى مع إبليس؛ لأن الله ﷻ كتب عليه اللعن، فقال:{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ} [الحجر: ٣٤، ٣٥].

ثانياً: إقامة الشهود عليه من أعضائه يوم القيامة: فقال ﷻ :{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٤، ٢٥].

وقال ﷻ :{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت: ١٩ - ٢٤].

ثالثاً: أوجب الله ﷻ الحد على مرتكب هذه الجريمة: وهو ثمانون جلدة، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور: ٤].

وعندما اتهمت السيدة عائشة (رضي الله عنها) في عرضها، وخاض بعض الصحابة ﷺ في عرضها، قام الرسول ﷺ بحدهم ثمانين جلدة، وكان ممن حد: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ﷺ، ولم يحد الرسول ﷺ عبد الله بن أبي ابن سلول؛ لأن الله ﷻ قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً.

رابعاً: عدم قبول شهادة مرتكب هذه الجريمة: لأنه كاذب، فقال ﷻ : {وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً} [النور: ٤].

وقال سيدنا عمر ﷺ لأبي موسى الأشعري: "...وَالْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الشَّهَادَةِ، إِلاَّ مَجْلُودٌ فِي حَدٍّ، أَوْ مُجَرَّبٌ عَلَيْهِ شَهَادَةُ

الزُّورِ، أَوْ ظَنِينٌ فِي وَلاَءٍ أَوْ قَرَابَةٍ... ".

خامساً: حكم الله ﷻ على مرتكب هذه الجريمة بالفسق: فقال ﷻ : {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: ٤].

ويقول ﷻ في شأن الفاسق:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

ولقد كتب الله ﷻ الخزي على الفاسق، فقال ﷻ :{مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ} [الحشر: ١٩].

والفسق هو: عدم العمل بأحكام الشرعية، مع النطق بالشهادتين.

سادساً: حكم الله ﷻ على القاذف بالكذب: فقال ﷻ :{لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ الله هُمُ الكَاذِبُونَ} [النور: ١٣].

والكذب لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الإيمان في قلب العبد خرج الكذب، وإذا وجد الكذب خرج الإيمان، ولقد أشار المولى ﷻ إلى ذلك، فقال ﷻ :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

وأشار الرسول ﷺ إلى ذلك أيضاً، فروى مالك عن صفوان بن سليم: أنه قيل لرسول الله ﷺ : أيكون المؤمن جباناً؟ قال ﷺ :«نعم»، قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟، قال ﷺ :«نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟، قال ﷺ :«لا».

أي لا يجتمع الإيمان والكذب أبداً، فالقاذف عند قذفه للمحصنات الغافلات المؤمنات يكون منتف عنه صفة الإيمان؛ لأنه كذاب.

سابعاً: قذف المحصنات علامة من علامات النفاق: لأنه مبني على الكذب، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ

النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: من إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

ثامناً: حكم الله ﷻ على القاذف بسواد الوجه يوم القيامة: لأنه كاذب، فقال ﷻ :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

تاسعاً: كتب الله ﷻ الفضيحة للقاذف على رءوس الخلائق يوم القيامة: لأنه كاذب، فقال ﷻ :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

فأي حسرة بعد هذه الحسرة؟ وأي ندامة بعد ما فضحوا في الآخرة، ونادى كلُ الخلائق عليهم بالإشارة: هؤلاء هم الذين كانوا يكذبون في الدنيا على الله ﷻ وعلى عباده.

عاشراً: قذف المحصنات الغافلات من باب شهادة الزور: والقرآن الكريم جعل شهادة الزور تساوي الشرك بالله ﷻ، فقال ﷻ : {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠].

ففي هذه الآية قرن الله ﷻ شهادة الزور بعبادة الأوثان، وذلك دلالة على خطورة شهادة الزور.

وكذلك سوى الرسول ﷺ بين شهادة الزور والشرك بالله ﷻ، فروى أحمد والترمذي أن الرسول ﷺ قال:«أيها الناس: عَدَلَت شهادةُ الزور إشراكاً بالله ﷻ»، ثم قرأ الرسول ﷺ قول الله ﷻ :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠].

وجعل الرسول ﷺ شهادة الزور من أكبر الكبائر، فروى البخاري

ومسلم عن أبي بكر ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال:«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» قلنا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ :«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس، ثم قال:«ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور»، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

حادي عاشر: القذف من الموبقات: روى البخاري ومسلم روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:«اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال ﷺ :«الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ثاني عشر: إحباط عمل القاذف: فروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول الله ﷺ قال:«قذف محصنة يحبط عمل مائة سنة».

ثالث عشر: القذف نوع من أنواع الغيبة: والغيبة هي: أن تذكر الغير بصفة يكرهها، وتنسبَ إليه ما يُحقره في أعين الناس، وتصفَه بقبيح ولو كان فيه.

روى مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ ﷺ :«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟، قَالَ ﷺ :«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ»، ومعنى بهته: أي افتريت عليه الكذب.

ولقد شبه الله ﷻ المغتاب بتشبيه تنفر منه النفوس، فشبهه بالكلب، فقال ﷻ :{وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

فالكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها، وكذلك الذئب، حتى الثعلب يشمئز منها ولا يفعلها، لا يفعلها إلا الكلب.

فيا له من تشبيه عجيب، يجعل النفس تنفر، ويجعلها تشمئز، فمن الذي يمكن أن يفعل ذلك، إنه المغتاب، ذلكم الشخص الذي يخوض في أعراض الناس.

رابع عشر: القذف أربا الربا: روى الطبراني وأبو داود أن الرسول ﷺ قال:«**الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم**».

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أنه قد اشتغل كثير من الناس بالقذف، فلا يتسامرون في مجالسهم ولا يتفكهون إلا بقذف أشخاص بأعينهم، يهتكون أستارهم، ويكشفون عوراتهم، ويتهجمون في غيبتهم على أعراضهم، ويبحثون عن العيوب فيُنشرونها، ويُفتشون عن المساوئ فيُظهرونها، كأن الله ﷻ خلق لهم اللسان ليأخذوه تسلية ومنجلاً يحصدون به سيرة الناس، ويجعلونه مقرضاً يقطع لحوم البشر، ويمزق أعراضهم.

فلقد انتشر القذف في كل مكان، انتشر في الأسواق بين الشباب والشيوخ، انتشر في المقاهي وجميع مجالسنا، ولا أبالغ إذا قلت لكم: أن القذف منتشر في بيوت الله ﷻ، ومواضع الصلاة، تسمع بعض الناس وقد أطلقوا اللسان في تمزيق أعراض المؤمنين بالغيبة والبهتان، ونقل الكلام من فلان إلى فلان، بقصد الافتنان والتسلية في أعراض الناس.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الذي ينشغل بالقذف ما هو إلا خبيث النفس، أو جبان، ثقيل طبعه على الناس، خفيف عمله في الميزان يوم القيامة، وينطبق عليه قول الله ﷻ :{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً}

[الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

وينطبق عليهم قول الله ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النور: ٢٠].

وينطبق عليهم قول الله ﷻ :{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ الله أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ} [المجادلة: ١٩].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق نموذجاً من أبشع نماذج القذف.

من هذه النماذج البشعة ما حدث للسيدة عائشة ﵂ روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ.

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ

إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ:«كَيْفَ تِيكُمْ» لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا، لا نَخْرُجُ إِلا لَيْلا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ، يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، فَقَالَ:«كَيْفَ تِيكُمْ؟».

فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ، فَقُلْتُ لأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَ اللهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟

قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

فَأَمَّا أُسَامَةُ: فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلا خَيْرًا.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لَمْ يُضَيِّقْ الله عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ يَا بَرِيرَةُ:«هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ»، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَ الله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: أَنَا والله أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنْ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلا صَالِحًا، وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ الله لا تَقْتُلُهُ، وَلا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، والله لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي: إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ:«فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ».

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي، حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: والله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: والله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي والله لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، والله يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ، لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ والله يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، والله مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلا إِلا أَبَا يُوسُفَ، إِذْ قَالَ:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي الله، وَلَكِنْ والله مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله، فَوَ الله مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ احْمَدِي الله، فَقَدْ بَرَّأَكِ الله، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: لا والله لا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلا أَحْمَدُ إِلا الله، فَأَنْزَلَ الله ﷻ : {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} الآيَاتِ.

فَلَمَّا أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ، والله لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ :{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : بَلَى والله إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي، فَرَجَعَ

إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ:«يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، واللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ.

قال القرطبي: قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه السلام لما رمى بالفاحشة، برأه الله ﷻ على لسان صبى في المهد، وإن مريم لما رميت بالفاحشة، برأها الله ﷻ على لسان ابنها عيسى عليه السلام، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله ﷻ بالقرآن، فما رضي لها ببراءة صبى ولا نبي، حتى برأها الله ﷻ بكلامه من القذف والبهتان.

وروي عن على بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري، ولقد توفي ﷺ وإن رأسه لفي حجري، ولقد قبر في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وأن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه فما يُبِينُنى عن جسده، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً، تعنى قوله ﷻ :{لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: ٢٦] وهو: الجنة.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للقاذف، فهناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات في الآخرة.

أولا: العقوبات الدنيوية:

١ – **عدم قبول شهادة القاذف:** لأنه غير مؤتمن، وبالتالي لا تقبل شهادته، قال ﷻ :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

فَاجْلِدُوَهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: ٤١].

٢ - نفي الإيمان عن القاذف: قال ﷻ :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

٣ - عدم الفلاح: قال ﷻ :{وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى الله الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل: ١١٦، ١١٧].

٤ - عدم الهداية: قال ﷻ :{إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣].

٥ - النفاق: روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

٦ - الفسق: قال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

٧ - سواد القلب: روى مالك أن الرسول ﷺ قال:«لا يزال العبد يكذب، ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتةٌ سوداء، حتى يسود قلبُه، فيُكتبُ عند الله من الكاذبين».

٨ - الجلد: قال ﷻ :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوَهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور: ٤١].

ثانيا: العقوبات التي في القبر:

أن يعذب بكلوب من حديد في شدقيه، روى البخاري ومسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ الله، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ:«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لا، قَالَ:«لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ

حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.... قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ثالثا: العقوبات الأخروية:

١ - الفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة: فالله ﷻ يكشف يوم القيامة عن حقيقة القاذف أمام الملائكة والأنبياء والصالحين وكل الخلائق؛ لأنه كذاب، فقال ﷻ :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

٢ - سواد الوجه يوم القيامة: فالله ﷻ يسود وجه القاذف يوم القيامة؛ لأنه كذاب، فقال ﷻ :{وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

٣ - اللعن: فالله ﷻ حكم على القاذف باللعن، فقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٣ - ٢٥].

٤ - الهلاك في النار: فالرسول ﷺ حكم على القاذف بالنار يوم القيامة؛ لأنه كذاب، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار».

٥ - سكنى ردغة الخبال: وهذا المكان أعد للقاذف، فروى أحمد والطبراني أن الرسول ﷺ قال:«من حالت شفاعته دون حد من حدود الله ﷻ، فقد ضار الله ﷻ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ﷻ، ردغة الخبال، حتى يَخرجَ مما قال» ورغدةُ الخبال: عصارةُ أهل النار، أو عرقُهم.

* * *